رحلة تحري الأمانة الترجمية في ظل ترجمة النصوص الأدبية ذات الشحنة الثقافية

A Journey of Probing Translational Honesty in Light of Translating Literary Texts with Cultural Charge.

Une exploration de l'intégrité traductive à la lumière de la traduction des textes littéraires imprégnés de valeurs culturelles.

عبد الجليل قادري[1]

تاريخ الإرسال: 2023/06/21 **تاريخ القبول**: 2023/12/02 **تاريخ النشر**: 2023/12/15

الملخص

تتناول هذه الدراسة دور الترجمة كوسيط ديناميكي لتلاقح الثقافات وإغناء الحضارات بالتبني. ونقصد بتلاقح الثقافات ذاك التبادل الحاصل عند نقل النصوص الأدبية –وبخاصة الفنية منها– من لغة أصل إلى لغة هدف. ولكن كيف يمكن للترجمة أن تكسر ذلك البرزخ القائم بين الأمم وتمد جسور التبادل الثقافي بين الحضارات؟ بل كيف يمكن للمترجم أن يهيأ المتلقي في اللغة الهدف إلى استقبال طقوس ومفاهيم جديدة وغريبة عن بيئته الأصل؟ إن التعرض لنظرية التكافؤ الديناميكي 'ليوجن نايدا' وكذا النظرية الهرمينوطيقية 'لجورج ستاينر'– تذهبان لكون الأمانة الترجمية تتعدى معاني الحروف والمفردات كي تبلغ الابداع في أسمى صوره عندما يحاول المترجم لبس جلد كاتب النص الأصل والتبحر في فكره وبيئته. وهكذا يغزو المترجم النص فيفهمه في سياقه الأصل ثم يعدو عليه فيؤوله ويقابله بمكافئاته الديناميكية في اللغة الهدف ثم يحاول إعادة صياغته في حلة تليق ببيئته الجديدة المستقبلة، وبذلك يستطيع المترجم أن يحدث النشوى نفسها في عقل المتلقي تماما كما تحدث عند قارئ النص الأصل.

الكلمات المفتاحية: **الترجمة، التلاقح الثقافي، التكافؤ الديناميكي، الهرمينوطيقية، مقومات الأمم.**

[1] Abdeldjalil KADRI, Superior School in Finance and Accounting, Algeria, akadri@escf-constantine.dz

Abstract:

This study aims to reveal the role of translation as a dynamic mediator for Interchanging Cultures and Enriching Civilizations by Adoption. But how could Translation break the isthmus between nations and build cultural bridges instead, in order to connect civilizations? And how could the translator prepare the receiver in the target language to accept strange rituals and concepts which do not fit his original environment? The Dynamic Equivalence theory of 'Eugen Naida' as well as the Hermeneutic theory of 'George Steiner' sees that translation honesty goes beyond the meanings of letters and vocabulary in order to reach creativity in its highest forms, when the translator tries 'to be in the writer's shoes'. Thus, the receiver of the target text accepts the new viewpoints because they do not jeopardize its identity despite the different cultures, and accordingly the translation process contributes in the enrichment of civilizations by adopting new ideas without compromising the nations' foundations.

Key Words: Translation, Interchanging cultures, Dynamic equivalence, Hermeneutic theory, Nations' foundations.

Résumé :

Cette étude explore le rôle de la traduction en tant que médiateur dynamique pour favoriser l'échange culturel et l'enrichissement des civilisations par l'adoption. Comment la traduction peut-elle franchir les barrières nationales et construire des ponts culturels entre les civilisations ? Comment préparer le récepteur à intégrer des rituels et des concepts étrangers à son environnement d'origine ? Les théories de l'équivalence dynamique d'Eugen Nida et de l'herméneutique de George Steiner soulignent que l'honnêteté de la traduction va au-delà du sens littéral, atteignant la créativité lorsque le traducteur cherche à "être dans la peau de l'écrivain". Ainsi, le traducteur peut susciter une extase similaire chez le destinataire, tout comme le lecteur du texte original. En conséquence, le processus de traduction contribue à l'enrichissement des civilisations en adoptant de nouvelles idées sans compromettre les fondements nationaux.

Mots clés : Traduction, échange culturel, Equivalence dynamique, Théorie herméneutique, Fondements nationaux.

مقدمة

لا يختلف اثنان على كون الترجمة عملية أساسية بل ووظيفة حيوية تمتد مثل جسر متين يربط الأمم وشعوب العالم قاطبة، فيُصدّر الحضارات ويمزج الأجناس ويلاقح الثقافات، فتتخالط العقليات وتتمايز العادات والأعراف فينصهر ذلك البرزخ الذي أقامه اختلاف الألسن. وليس من المهم أن يعرف المرء سبب اختلاط الألسن ولا زمن قيام البرزخ، وإنما من الضروري أن يعرف كي يتعامل معه ويزحزحه شيئا فشيئا. وقد شهدت الترجمة في العصر الحاضر اهتماما كبيرا من طرف المنظرين واللسانيين وكل من يتداول اللغة بغض النظر إن كانت لغة أصل أم لغة أجنبية، نظرا لتفطن هؤلاء لدور الترجمة الفعال وشدة تأثيرها على علوم عدة: مثل علم النفس وعلم الاجتماع وكذا السياسة وغيرها من العلوم التي باتت تتحكم في توجيه الشعوب وتساهم في انتشار العولمة بين الأمم بغض النظر على أضرارها أو منافعها.

ومع هذا الزخم التكنولوجي الهائل الذي صار يغزو البيوت والعقول دون أن يستأذن أو يطرق باب، صرنا نلاحظ انفتاح العوالم على بعضها البعض وصار العرب يعرف ما يحدث في بيت العجم، كما صار الغرب مطلع على ثقافة وطرائق عيش العرب وغيرهم من الأجناس وكل ذلك منذ اكتشاف الترجمة. حيث يقول مصطفى داودي:" "لم يتحقق التواصل الايجابي بين الحضرات إلا عن طريق حركة الترجمة باعتبارها خير وسيط لربط الثقافات ببعضها البعض وخير معبر عرّف أوربا بالعلوم العربية واليونانية...وتعد الحضارة الإسلامية أكبر موروث أخذه الأوروبيون بإقبالهم على ترجمة المؤلفات الإسلامية في شتى العلوم وكان لذلك بالغ الأثر في نضوج الفكر الأوربي وانبثاق النهضة الأوربية الحديثة" (داودي، 2012)

ونظرا لكل تلك التغيرات التي طرأت على حياة البشر، صار حريا أن تلعب الترجمة دورا جديدا في تلاقح الثقافات وإغناء الحضارات بالتبني، مثلها مثل باقي وسائل الاعلام والاتصال التي عوضت تأشيرة السفر لزيارة مختلف العوالم والاطلاع على حضاراتهم وثقافاتهم. وعليه، يمكن أن نتساءل هنا كيف يمكن للترجمة أن تلعب دور الوسيط الديناميكي الذي يمد جسور التبادل الثقافي بين الأمم والحضارات؟ وهل سيتمكن فعلا المترجم الذي ينتمي بطريقة أو بأخرى لثقافة وحضارة وبيئة معينة من إذابة ذلك البرزخ الثقافي وكذا المساهمة في تربية النشأ الجديد عن طريق تبادل الثقافات والاطلاع على كل غريب بل وتقبله من خلال ترجمة الأعمال الأدبية الفنية؟ وعليه فقد اتبعنا منهجا تاريخيا تحليليا للبحث عن طرائق الاغناء وانشاء الجيل الجديد المتفتح على الثقافات والعوالم من خلال الترجمة.

1- رؤى ترجمية في نقل النصوص ذات الشحنة الثقافية

تتعدد المذاهب الترجمية وتتنوع بين مؤيد للترجمة الحرفية ومناد بالترجمة الحرّة، بين معتن بالنص الأصلي ومراع للقارئ والنص المترجم. لكن مع هذا التباين يبقى الهدف من الترجمة واحد ألا وهو مد جسور التواصل الفكري والثقافي والفني وكذا الديني بين الأمم قاطبة على اختلاف جنسياتها وثقافاتها، وكسر كل الحدود التي يضعها اختلاف الألسن ليحول دون مد ذاك الجسر. حيث يرى المنظرون والباحثون في الدرس الترجمي: "أن الوظيفة الأساسية للترجمة الأدبيّة هي دعم وتقوية أواصر التّفاهم بين الثقّافات والأممّ ... فهي التي تربط الثّقافات واللّغات بخيوط عاطفية جد حساسة، وتعزز فهم البشر عبر الحدود القارية. فخلال عملية التّرجمة الأدبيّة، تتعرى روح الثقافة الأخرى لتصبح شفافة، ومن ثم يعمل المترجم على إعادة صياغة تلك الحساسيات الدقيقة المميزة للبلدان الأجنبية وشعوبها من خلال المقومات اللّغوية والموسيقية والإيقاعية والبصرية للغة الجديدة." (ترجمتنا)

“The main function of literary translation is to enhance understanding among cultures and nations (…) Literary translation bridges the delicate emotional connections between cultures and languages and furthers the understanding of human beings across national borders. In the act of literary translation, the soul of another culture becomes transparent, and the translator recreates the refined sensibilities of foreign countries and their people through the linguistic, musical, rhythmic and visual possibilities of the new language.” (Biguenet & Schulte, 1989, p. 37)

وقد تأثرت الترجمة بتطور العلوم وازدهار البحوث فيها، حيث خلص منظرو الترجمة إلى تداخل العلوم وازدحامها وهو ما أسموه **"Interdisciplinarity"** وتفطنوا إلى وجود عناصر أخرى خارجة عن اللغة **"Extralinguistic"** من شأنها أن تؤثر في طريقة نقل وترجمة النصوص من لغة إلى لغة أخرى ومن أهم تلك العناصر الثقافة واللسانيات. ولا نقصد بالثقافة مفهومها الضيق بل نقصد بها طريقة عيش شعب وعادات ونمط تفكير ولغة ومفاهيم عن الأشياء وصور خيالية وأسطورية تتمايز من أمة لأخرى. كما لا نقصد باللسانيات جانبها البنيوي، بل جانبها التداولي الذي يدرس اللغة وهي تطبق على لسان المتكلم في سياق معين ومقام محدد، الذي يحدد نية وغاية المتكلم من فعله هذا. وهكذا أثر كلا العنصرين في مفهوم الترجمة وأعطيا لها نفسا جديدا ولكن في الوقت نفسه عوائق ومشاكل أكبر لابد للمترجم من اجتيازها والبرهنة على براعته في الترجمة من خلالها.

وتظهر هذه العوائق والمشاكل بكثرة أثناء ترجمة النصوص الدينية والفلسفية والأدبية وبخاصة الإبداعية والفنية منها (الشعر والرواية والأسطورة، ....) حيث تتعلق هذه الأخيرة باللغة الخارقة المشحونة بكتلة من الدلالات الثقافية والحضارية والتي تميزها

عن باقي اللغات كما تميز الشعب الناطق بها عن باقي الشعوب وحتى وإن كانت بلدانهم متجاورة أو أنهم ينتمون للقارة نفسها. وبالتالي فإن هذا النوع من النصوص والذي يرى 'كيلار' أنه لم يعتن بأهميته إلا بعد تغير نظرة الناس للأدب، حين تفطنوا للوظائف المتعددة للأدب غير تلك المتعلقة بالمتعة والمعرفة، وعلاقة بالتاريخ والأيديولوجيا وعلم الاجتماع وكذا السياسة وكل ذلك أثر على الرؤى الترجمية حيال هذا النوع من الأدب. حيق يقول 'كيلار':

"Although it must be admitted that not much attention has been paid to the issue of the definition of literature over the past two decades or so, what has attracted interest, is that literature is seen as a historical and ideological category with its social and political functioning". (Culler, 1997, p. 36)

"على الرغم من أنه يجب الاعتراف بأنه لم يتم إيلاء الكثير من الاهتمام لمسألة تعريف الأدب على مدى العقدين الماضيين أو نحو ذلك، فإن ما جذب الاهتمام ... هو أن الأدب يُنظر إليه على أنه تصنيف تاريخي وأيديولوجي بمفهومه نظرا لأدائه الاجتماعي والسياسي." (ترجمتنا)

ولما كانت سمة اللغات الاختلاف والتباين على قول التوحيدي:" إن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها، في أسماءها وأفعالها وحروفها وتأليفها وتقديمها وتأخيرها واستعاراتها وتحقيقها وتشديدها وتخفيفها وسعتها وضيقها ونظمها ونثرها وسجعها ووزنها وميلها." (التوحيدي، 1953، صفحة 116) نشطت مذاهب ترجمية ترى بضرورة تكييف النص الأصلي مع مستلزمات اللغة والثقافة المترجم إليها لتبليغ المعنى وتلبية الغرض الذي ينشده الكاتب من خلال نصه الأصلي. وبالتالي نادوا إلى إغناء الثقافات بالتبني من العوالم الأخرى لكن مع تكييف وتطويع يضمن وصول الرسالة على أكمل وجه من أجل ضمان العملية التواصلية للترجمة. حيث يقول 'برخانوف' في هذا الشأن:

"Consequently, literary translation must be approached as a kind of aesthetically-oriented mediated bilingual communication, which aims at producing a target text intended to communicate its own form, correspondent with the source text, and accordant with contemporary literary and translational norms of the receptor culture." (Burkhanov, 2003, p. 193)

"وبالتالي، يجب التعامل مع الترجمة الأدبية على أنها نوع من التواصل ثنائي اللغة ووسيط ذو توجه جمالي، والذي يهدف إلى إنتاج نص هدف يعمل على إيصال شكله الخاص بما يتوافق مع النص المصدر، ولا يتعارض مع المعايير الأدبية والترجمية المعاصرة للثقافة المستقبلة للنص." (ترجمتنا)

كما يتوافق رأي المنظر 'نيومارك' مع رأي 'برخانوف' من حيث نظرتهم للترجمة على أنها عملية تواصلية بالدرجة الأولى وبالتالي فهي تعمل فعلا على بعث جسور التبادل المعرفي بين الشعوب وكذا الاطلاع على طرائق عبش الشعوب وأنماط تفكيرهم عبر القارات والمحيطات. حيث يقول نيومارك:

"…communicative translation' whose essence rests on producing on its readers an effect as close as possible to that obtained on the readers of the original, being smoother, simpler, clearer, more direct and tending to undertranslate" (Newmark, 1981, p. 39).

"الترجمة التواصلية هي التي يعتمد جوهرها على إنتاج تأثير على قرائها أقرب ما يكون إلى التأثير الذي تم الحصول عليه في نفوس قراء النص الأصل، بحيث تكون الترجمة أكثر سلاسة وأبسط، وأوضح، وأكثر مباشرة بل ولا نشتم فيها رائحة الترجمة." (ترجمتنا)

وأما عن تلك السلاسة والبساطة والوضوح، فلا يمكن للمترجم أن يصل إليها في ترجمة النصوص الأدبية ذات الشحنات الثقافية، إلا إذا استطاع أن يطلع على ثقافة اللغة الأجنبية بكل مقوماتها التاريخية والحضارية والدينية والفلسفية والاجتماعية وغيرها من المقومات التي تبني الأمم، ومن ثم يسعى إلى تكييفها مع الثقافة التي سينقل إليها. وبالتالي يقوم المترجم هنا بوظيفته التواصلية دون أن يخدش هوية القارئ في الثقافة الهدف أو يرغمه على مواجهة غرابة الثقافات الأخرى.

1-1 مفهوم الأمانة الترجمية بين الدلالة اللفظية والشحنة الثقافية

لقد تغير مفهوم الأمانة في الترجمة عند المنظرين عبر الزمن، حيث صارت الأمانة تتعدى حدود الحروف والكلمات إلى عالم المعاني والصور التي أراد بها الكاتب في نصه الأصلي بيانا ومعاني لا تطفوا على السطح لكنها تتركز في الذهن وتحمّل الكلمة دلالات كثيفة؛ مما يجعل العمل إبداعيا وكاتبه فنانا. فحرام أن يطمس القالب الذي جاءت فيه الرسالة ولا بد أن يحافظ العمل الأدبي على إبداعيته حتى عند نقله من لغة إلى لغة أخرى.

فالمترجم الذي يهتم بنقل النصوص الأدبية هو مكلف بنقل المعنى المحمول في النص الأصل وكذا القالب الجمالي لأنه وظيفة أساسية للنص الأدبي الذي " تطغى عليه عناصر التعبير الإيحائية (Connotative) ذات الصيغ الإتحادية (Syntagmatic) التي غالبا ما تتوزع توزيعا مختلفا في سياقات اللغة المتن واللغة المستهدفة وتتطلب من المترجم أن يعيد تشكيل الفحوى والتعبير بطريقة فنية خلاقة." (بيوض، 2003، صفحة 39)

وقد ظهرت تلك النظريات الترجمية التي دعت إلى تقسيم النصوص وتصنيفها وفقا لمعايير معينة، منذ حوالي عام 1970. حيث شهدت الترجمة في هذه الحقبة من الزمن اهتماما كبيرا بتصنيف النصوص لتسهيل ترجمتها بعد قولبتها في أشكال نمطية من شأنها أن تيسّر للمترجم إيجاد المقابلات في اللغة المترجم إليها.

ولعل أهم تلك الأعمال التي جاءت في هذا الخصوص كانت 'لكاتارينا رايس' سنة 1976م. حيث عمدت هذه الأخيرة إلى تصنيف النصوص حسب 'ميدان الدراسة أو التخصص'. فكان عنوان النص يساهم كثيرا في تحديد هوية النص وصنفه بغض النظر عن محتواه. وبذلك جعلوا تصنيف النصوص إلى صحفية ودينية وعلمية واقتصادية وغيرها من الأنواع. (Flesscher, 2000, p. 39)

كما دعم 'كاتفورد' تلك الأعمال السابقة بخصوص تصنيف النصوص وأضاف أن تنوع اللغة لا يمكن ضبطه إلا من خلال قولبة النصوص وذلك في قوله:

"The concept of a 'whole language' is so vast and heterogeneous that is not operationally useful for many linguistic purposes, descriptive, comparative, and pedagogical. It's therefore desirable to have a framework for categories for the classification of sublanguages or varieties within a total language." (Catford, 1965, p. 83)

" إن مفهوم اللغة برمتها لهو أمر واسع ومتشعب مما يجعل هذه الأخيرة عاجزة أن تخدم الغايات اللسانية المختلفة: الوصفية والمقارنتية والتعليمية. وعليه كان من المحبذ وجود قواعد لتنميط وتصنيف 'اللغات الجزئية' مما يعني التنوع في اللغة العامة".

بيد أن أصحاب نظرية التصنيف تلك لم ينتبهوا لكون النصوص ذات طبيعة متغيرة، وأن غاية النص وغرضه قد يتجليان من خلال سيطرة أهداف معينة تظهر من خلال التركيز على سياق ما أو أسلوب من الأساليب اللغوية. وهكذا فقد حكم على تلك التقسيمات التي أقامتها 'رايس' وفريقها بالفشل ولم ينجحوا في قولبة النصوص في نماذج نمطية. لكن عدم جدوى تلك التصنيفات للنصوص لا يلغي تنوع المظاهر الأسلوبية في النص الواحد. حيث يقول 'بوغراند ودراسر' بهذا الخصوص:

"Some traditionally established text types could be defined along functional lines, i.e according to the contribution of texts to human interaction. We would at least be able to identify some dominances, though without obtaining a strict categorization for every conceivable example…. In many texts we would find a mixture of the descriptive, narrative, and argumentative functions." (Beaugrand & Dresser, 1981, p. 184)

"يمكن لبعض التصنيفات النصية التي تم التواضع عليها منذ زمن أن تتجلى من خلال مستويات وظيفية، يعني من خلال مدى تفاعل الناس مع النصوص. وبالتالي سنستطيع على الأقل أن نحدد بعض العناصر الطاغية في النصوص حتى ولو لم نتمكن من الحصول على تصنيف مضبوط لكل مثال .... ففي النص الواحد قد نجد خليطا من الوظائف المتعددة كالوظيفة الوصفية والسردية والحجاجية وغيرها."

إن استحالة قولبة النصوص لا تلغي تعدد المظاهر الأسلوبية في النص الواحد، حيث أن العامل الوحيد المؤثر في تحديد غاية النص هو الأسلوب الطاغي فيه وكذا مدى تفاعل الناس معه. إذا ما يميز نصا عن نص آخر هو أسلوب كتابته وطريقة نظمه. وهكذا نجد أنفسنا بصدد الحديث عن وعي الكاتب باختياراته الأسلوبية التي يستعملها أثناء الكتابة أو

المحادثة، وكذا وعي المترجم بتلك الاختيارات طبقا لما يحمله النص من شحنات ثقافية وتاريخية وحضارية، تفرض بدورها على المترجم اختيار طريقة معينة لنقل كل تلك الشحنات والدلالات غير اللسانية

كما يؤكد كلا من"Nida" و "Taber"عن ضرورة احترام المعنى والأسلوب الذي جاءا في النص الأصل في قولهما: "أن الترجمة هي عبارة عن إعادة تشكيل المكافئ الطبيعي الأقرب لرسالة اللغة المتن في لغة المتلقي للترجمة، أولا من ناحية المعنى وثانيا من ناحية الأسلوب" (C.R.Taber, 1982, p. 12) وعليه يتوافق هذا القول مع الأقوال المنظرين الذي يؤكدون على التصاق المعنى بالأسلوب وضرورة نقل كليهما بدل الاكتفاء بنقل أحد الجانبين فقط، الجانب الشكلي عند أصحاب النظرية اللسانية والبنيوية والمعنوي عند أصحاب نظرية المعنى في الترجمة.

أما 'جريجوري وكارول' فقد أوليا الخطاب أهمية بالغة نظرا لالتصاقه بالعوامل غير اللسانية. حيث يتعلق موضوع الخطاب (tenor of discourse) بدراسة العلاقة بين المرسل والمتلقي. وإنما نقصد بذلك دراسة الفروقات الثقافية والحضارية والدينية وغيرها بين ثقافتي الكاتب والقارئ. حيث تتنوع مواضيع الخطاب وتختلف باختلاف الأمم ومركباتها، ولا يمكن أبدا أن نرغم أمة على تقبل الخصائص اللغوية والثقافية لأمة أخرى تبعد عنها تاريخيا وحضاريا.

ونضرب لهذا المفهوم مثلا كي نوضحه بعبارة أدمث، فنتناول على سبيل المثال بعض المواضيع التي تُطرح في الغرب بصفة عادية وتقرؤها أو تستقبلها عامة الشعب بمختلف فئاتها دون الوقوع في الحرج مثل مواضيع الجنس والمخدرات واستقلالية الأولاد عن آبائهم أو خروج المرآة للعيش وحدها...إلخ. غير أن تلك المواضيع تخدش الحياء في المجتمعات العربية كما أنها تعتبر من التابوهات وعيب على الكاتب التطرق إليها، كما يعيب على القارئ التعرض لها.

وقد يرى المرء بعض الكتاب العرب الذين تعرضوا لهذه المواضيع التي تعتبر خطا أحمر في مجتمعاتنا، كما يمكن أن نجد من يشتري تلك الروايات الفاضحة أو الكتب التي تخدش الحياء عند العرب، لكن لابد من أن ندرك أن كل هؤلاء الكتاب قد أثاروا جدلا في الوسط الأدبي كما أنهم قد عانوا كثيرا من أقلام النقاد اللاذعة وكذا من سخط فئة كبيرة من القراء. وهو حال بعض الشعراء الشاعر الذين حاولوا تخطي الخطوط الحمراء فبات شعرهم ملاذا للمراهقين ولكنه لا يصبو أبدا لأن يدرس في الجامعات أو حتى المدارس.

كما أن الأشخاص الذين يقرؤون تلك المواضيع، لا يفعلون ذلك إلا خلسة ولا يستطيعون المجاهرة بها. إذا في كل الأحوال لا يمكن للثقافة العربية أن تتقبل مواضيع قد تطرحها الثقافة الغربية وهذا ما يجب احترامه عند الترجمة. وليست المواضيع المتعلقة بالجنس والمحرمات وحدها التي تعتبر تابوها في مجتمعاتنا، فقد يشكل خطابا سياسيا مشكلا كبيرا إذا ترجم، ليس لأنه يمس بالعادات والتقاليد ولا بالدين ولكن لأنه يدعو إلى مفاهيم بعيدة كل البعد على أن تفهم أو تتقبل في بلداننا.

1-2 الأمانة في نقل المقومات الفنية

قد يبدو أن نقل فحوى النص وقالبه في آن واحد بطريقة فنية، أمر في غاية الصعوبة ويشكل عقبة حقيقية في وجه المترجم وبخاصة عند تعامله مع نصوص أدبية فنية. حيث تتميز هذه الأخيرة عن باقي النصوص بخصوصيات معجمية ونحوية وصوتية وثقافية مختلفة تنبع من قلب حضارة الأديب وثقافته، بل ومن تركيبته النفسية التي لا بد من الخوض في تفاصيلها قبل الشروع في الترجمة. وهذا ما يؤكده "Newmark" في قوله " بأنه يوجد اختلاف أساسي وجوهري بين ترجمة النصوص الأدبية الفنية (Artistic) وترجمة النصوص غير الأدبية (Non-Literary) حيث أن الأولى رمزية (Symbolical) ومجازية، أما الثانية فهي ذات مقصد تقديمي أو عرْضي (Representational) وبالتالي فالفرق في الترجمة يكمن في إعطاء أهمية أكبر للإيحاءات والعواطف في الأدب الخيالي. وعلى المترجم أن ينصّب نفسه حكما على الكتابة، إذ عليه أن يقر ليس فقط النوعية الأدبية للنص بل جديته الأخلاقية أيضا." (Newmark.P, 1982, p. 06)

وعلى ضوء قول "Newmark" ومن سبقه نخلص إلى أن المترجم مطالب بمعاملة النصوص الأدبية الفنية معاملة خاصة قبل وأثناء عملية الترجمة، تختلف تماما عن معاملته للنصوص التقنية أو العلمية أو القانونية، وإنما ذلك لتحقيق الأمانة الترجمية عن طريق إيصال المعنى المنشود في القالب الفني ذاته الذي جاءت فيه في النص الأصلي فلا ضرر وضرار بالنسبة للكاتب والمتلقي.

وفي خضم كل النظريات الترجمية على اختلاف مناهجها وتباين وجهات نظرها في مفهوم الأمانة الترجمية والطريقة الأمثل والأصوب للترجمة، نذكر منها تلك التي اهتمت بترجمة مثل هذه الأعمال الأدبية ذات الشحنات الثقافية والتي كانت لها وجهة نظر منطقية في الحفاظ قدر المستطاع على المعنى وكذا الجماليات الفنية لهذه الأعمال. فارتأينا أن ننطلق من **نظرية التكافؤ الديناميكي**" لنيدا" ثم نعرّج على **النظرية الهرمينوطيقية** "**George Steiner**" و "**Ricoeur**" وصولا إلى النظرية **السيميوطقية** التي تطرق لها "**Basil Hatim**" وصديقه "**Ian Masson**" مؤخرا؛ نظرا لكون تلك النظريات تتقاسم الرؤية ذاتها في ترجمة الأعمال الأدبية الفنية التي تتطلب من المترجم الإبحار في عالم غريب عنه للاطلاع على ثقافة الغير وفهم نفسياتهم وعقلياتهم قبل الشروع في عملية الترجمة إلى اللغة الهدف.

2- نظرية التكافؤ الديناميكي لنقل المقومات الثقافية للنص

وقد انطلق مشوار"يوجين نيدا" مع الترجمة بدء من ترجمة الكتب المقدّسة والتي يمكن إعتبارها ضمن الأعمال الأدبية، حيث نظّر هذا الأخير إلى مفهوم جديد في الترجمة آن ذاك أطلق عليه اسم "التكافؤ الديناميكي". حيث يرى هذا الأخير أن

الترجمة عملية ديناميكية وليست ساكنة وذهب في كتابه (Toward a Science of Translation 1964) إلى التمييز بين نوعين من التكافؤ: التكافؤ الشكلي الذي يقوم على نقل شكل النص الأصل نقلا آليا، والتكافؤ الديناميكي الذي يحول "النص الأصل" بحيث يحدث التأثير نفسه في "اللغة الهدف". (Nida, 1964) إذا لا يتعلق الأمر عند "نيدا" بنقل الكلمات أو حتى المعاني، بل يتعداها ليبحث عن مدى فعاليتها وتأثيرها في نفسية قارئ النص المترجم مقارنة بتأثير النص الأصلي على قارئيه.

وللوصول إلى تلك البراعة والأمانة في الترجمة وبخاصة ترجمة تلك المقومات الثقافية، ارتأى "نيدا" أن يقسم ترجمة الأعمال الأدبية والفنية إلى مراحل ثلاث: أولها مرحلة التحليل (Analysis) وثانيها مرحلة النقل (Transfer) وآخرها مرحلة إعادة البنينة أو الصياغة (Restructuration). (بيوض، 2003، صفحة 26) فأما عن مرحلة "التحليل" فتتمثل في" تبسيط المقولة واستخراج نواة تركيبها العميقة ومقابلتها ليس على أساس الفئات النحوية التي تحتويها فحسب، بل على أساس المواضيع والأحداث ودرجة التجريدات التي تتضمنها. ومن ثم القيام بالتحليل الدلالي لمجموعات الكلمات من خلال تحليل المكونات (Componential Analysis) وتحديد القيمة العاطفية للكلمات وإيحاءاتها التي تنتج عن ظروف استعمالها – الجو الثقافي – وعن مستويات اللغة والنطق والرمز. فالرقم 13 مثلا يعتبر رمزا جالبا للحظ عند العرب بينما هو مدعاة للتطير في الغرب." (بيوض، 2003، الصفحات 26-27)

وأما عن مرحلة "النقل" والتي تعني نقل الرسالة فهي تأتي " استنادا إلى كل العوامل المستخرجة من عملية التحليل وتوظيفها للمحافظة على المعلومات التي تتضمنها المعاني دون التضحية بالإيحاءات وتمريرها." (بيوض، 2003، صفحة 27) حيث يؤكد "نيدا" في رؤيته هذه على مسؤولية المترجم في نقل كل ما تحويه الرسالة أو النص من معاني وأساليب ورموز بشكل يفهمه قارئه في النص المترجم، لأنه هو وليس القارئ من يستحوذ على المعومات المرجعية عن النص وصاحبه ويتحكم في اللغة المنقول منها والمنقول إليها. وبالتالي هو مسؤول عن إيصال كل ذلك إلى القارئ الذي يفترض به جهل كل تلك المرجعيات والخلفيات عن العمل الأدبي.

وفي الأخير تأتي مرحلة "إعادة البنينة أو الصياغة" والتي يعمل المترجم من خلالها على نقل الرسالة بكل توابعها التي استقصاها في المرحلتين السابقتين محترما بذلك مستويات اللغة في أبعادها التاريخية (المتقادم والمستحدث) وكذا المستويات الجغرافية التي تنشأ عنها اختلافات في اللهجات وأيضا المستويات الاجتماعية وذلك عن طريق مراعاة الطبقات الاجتماعية التي يتوجه إليها الكاتب بنصه وكذا سجّلها اللغوي. (بيوض، 2003، الصفحات 27-28)

وبعد التطرق إلى المراحل التي اقترحها "يوجن نيدا" للترجمة، لا بد أن ننوّه إلى أن هذا الأخير خصّ نظريته بنوع معين من النصوص ألا وهو النصوص الدينية والكتب المقدّسة، لكن نظريته تلك تبدو ناجعة أكثر في ترجمة النصوص الأدبية وبخاصة الفنية منها. حيث أن نقل العناصر الثقافية في القطعة الأدبية لا يقل أهمية عن نقل المعنى، بل قد يكون عملية أصعب من الأولى

نظرا لكونها تتطلب من المترجم تقفي الدراسات العملية والإبداعية للقطعة الفنية قبل ترجمتها بالإضافة إلى استعمال حدسيته التي تمكنه من فهم مقصود الكاتب والشعور بغايته وأحاسيسه التي دفعته للكتابة.

وبعد التوصل إلى تلك النشوة الفنية والإبداعية سوف يتمكن المترجم من نقل المعاني والفنيات في شكل يضاهي روعة تلك التي أتت في النص الأصلي. وترى "إنعام بيوّض" في كتابها "الترجمة الأدبية" أن المترجم لن يصبو إلى تلك الإبداعية التي تحدث عنها "نيدا" إلا عن طريق الالتزام بالأمور التالية خلال ترجمة نص أدبي من لغة إلى لغة أخرى:

1/ المحافظة قدر الإمكان على الصور الشعرية أو الإتيان بما يكافئها في اللغة الهدف.

2/ الاستعمال الخلاّق لعناصر المعجم.

3/ احترام أسلوب الكاتب ومعجمه الخاص.

4/ مراعاة المعايير الجمالية لعصر متلقي الترجمة. (بيوض، 2003، صفحة 50)

3- النظرية الهرمينوطيقية لنقل المقومات الثقافية للنص

إن المترجم الذي يود فعلا أن يوصل القارئ في اللغة الهدف إلى تلك النشوة التي تحدثت عنها إنعام بيوض، لا بد عليه أن يتقمص شخصية غير شخصيته كي يكون إحساسه بالنص عميقا وفاعلا نابعا من خلفيات مرجعية عن الكاتب وزمانه وأسلوبه ومذهبه في الحياة؛ وبالتالي سيعيش المترجم أحداث النص بكل تفاصيله ومكوناته الثقافية في بيئته الأصل قبل أن يترجمه، وعند نقله سيعمل على جعل القارئ للنص المترجم يعيش التجربة ذاتها التي عاشها هو وكذا قارئ النص الأصلي. وإذا تحدثنا عن الإحساس العميق بالنص والانتقال إلى عالم الكاتب وجوّه، لابد أن نذكر النظرية الهرمينوطقية للفيلسوف والمنظر"جورج ستاينر" والتي تذهب إلى ضرورة أن يلبس المترجم جلد الكاتب ويبحر في فكره وخياله حتى يعانق منطقه ويتوصل إلى الجوهر المعنى الذي أراده في نصّه. (Steiner, 1992, pp. 310-313)

وتقوم نظرية "جورج ستاينر" الفلسفية على مبادئ أربعة من شأنها أن تساعد المترجم على نقل كل تلك المقومات الثقافية والحضارية للقطعة الأدبية أثناء الترجمة: أولها الثقة (Trust) ثم العدوان (Agression) فالإدماج (Incorporation) وأخيرا التعويض (Restitution).

أما عن الثقة فيعني بها إختيار المترجم لنص معين كي يقوم بترجمته دون النصوص الأخرى. وبالتالي لا بد للمترجم أن يثق بأن النص الذي بين يديه يحوي "معنى" جاد يستحق نقله للاستفادة منه أو حتى الاطلاع عليه في اللغات الأجنبية من أجل إثراءها وإغناءها وكذا امتاع القارئ المستقبل للنص بمعلومات جديدة عن حياة الناس في عوالم مختلفة. وأما عن العدوان، فيحذو فيه "ستاينر" حذو "هايديجر" نظرا لتأثره بأراءه الفلسفية ونظرياته، فيرى هذين الأخيرين أن مجرد قراءة المترجم للنص الأصلي هو اعتداء عليه ومحاولته

لاستخراج المعنى من أجل نقله إلى لغة أخرى هو سرقة بعينها. ويسعى المترجم في هذه المرحلة إلى التقاط المعنى بطرق تأويلية وتحليلية من شأنها التغلغل في النص بل وفي كل ما ساهم في إنتاجه من ثقافة ودين وحضارة وغيرها من العوامل غير اللسانية والخارجة عن مادّة اللغة.

وبعد عملية العدوان على النص و "سرقة" المعنى الأصلي، يحاول المترجم في مرحلة الإدماج أن يُصهر ذاك المعنى في قالبه الخاص ويجعله ملكا له، فيهضمه هضما ويكيّفه مع متطلبات اللغة التي سيترجم إليها. حيث تتطلب هذه العملية معرفة شاسعة بكلتا الثقافتين المترجم منها وإليها. كي تأتي المرحلة الأخيرة مرحلة التعويض والتي يقوم فيها المترجم بإعادة التوازن إلى النص بعد كلّ ما طرأ عليه من عدوان وتعديلات وقولبة في المراحل السابقة، فينقله بأقل خسارة ممكنة إلى اللغة الهدف. ويمكن تلخيص مراحل النظرية الهرمينوطقية في قول "ستاينر": (إن المترجم يغزو، ثم يستولي ثم يوّطن). " The translator invades, extracts, and brings home" (Steiner, 1992, pp. 313-317)

وعليه يدعو "جورج ستاينر" في نظريته الهرمنوطقية إلى التأمل في النصوص وتأويلها قبل توطينها، وإنما ذلك بغرض إيجاد المعاني والتنقيب عن كل غامض ومبهم في النص الأصلي على مستوى الكلمات والعبارات التي قد تبدو تافهة وسطحية في بادئ الأمر، لكن سرعان ما تكشف عن مدلولاتها وحمولاتها الثقافية إذا ما قام المترجم بتأويلها وتعمّق في فكر قائلها. وإن هذا التأمل في النص ومركباته يسمح للمترجم بتحديد حقل الخطاب وموضوعه ونمطه قبل الشروع في عملية الترجمة لأن ذلك يساعد على تحديد الجنس الذي ينتمي إليه النص وبالتالي كل العناصر الخارجة عن اللغة والداخلة في تكوين عجينة الخطاب مثل الثقافة والدين والخلفيات التاريخية والسياسية والاجتماعية وغيرها من العوامل المركبة للنص. كما أن التعرف على ظروف كتابة النص كالبيئة والفضاء والزمان، تساعد على التحكم في الأفكار وتعيين بداياتها ومنتهاها، فيسهل على المترجم معرفة القناة التي استعملها الكاتب لإيصال أفكاره لذهن القارئ وهكذا يتمكن هذا الأخير من استعمال القنوات ذاتها كي يضمن إيصال أفكار الكاتب الأصلي بكل 'أمانة' وإبداع.

خاتمة

إذا كانت الوظيفة الأولى للترجمة هي العملية التواصلية، فإن التطور التكنولوجي وانبثاق العولمة وانفتاح العوالم على بعضها البعض قد جعل لها دورا جديدا لا يقل أهمية عن الوظيفة التواصلية، ألا وهو التواصل الثقافي والحضاري الذي يمد جسور الانسانية ويوطد الروابط بين شعوب الأمم. وأما عن التواصل والتبادل الثقافي والحضاري الحاصل بين الأمم فهو ينقسم إلى وجهين: " وجه مادّي ملموس يتعين في المستوى الذي بلغه التقدّم العمراني والتكنولوجيا عند أمّة من الأمم، أو في مجتمع معيّن وفي حقبة تاريخية محدّدة وكذلك في العلاقات الاجتماعية والعادات والمعتقدات وفي المؤسسات وأنظمة الحكم، ووجه ثان يتجلّى في نواحي الانتاج الأدبي والفنّي والفكري والعلمي ومعالم الرّقي الأخلاقي والرّوحي" (داوي، 2013)

وهكذا يقوم المترجم بدور فعال في نقل صورة عن الوجه المادي كما يبحر بالقارئ للنص المترجم في عالم الفكر والرقي الروحي للثقافة الأصل، فيحترم الناس اختلافاتهم ولا يقعون في فخ العنصرية التي تنبع من جهل الناس لبعضهم البعض، بل ويتبادلون المهارات والتجارب فستفيد الأمم من بعضها البعض عندما تنقل لها الأعمال بلغة سليمة في سياق سليم تحترم فيه كل المقومات التي تنشأ فيها اللغة كالثقافة والحضارة والدين وطرائق العيش.

وعليه تصبح الترجمة ذات وظيفة تعليمية وتربوية تساهم في إغناء الحضارات بالتبني وكذا تربية الفرد وتهذيب نفسه كي يتقبل اختلاف الآخر ويتعايش مع الغريب عنه. وللوصول إلى تلك لبراعة في الترجمة و الأمانة في النقل لكل العناصر المكونة للنص بما فيها العناصر اللغوية (اللسانية) أو تلك العناصر الخارجة عن اللغة كالثقافة والحضارة والدين وعقليات الشعوب وتاريخها، وجب على المترجم أن يعمد على قراءة النص جيدا حتى يتغلغل في كل تلك المقومات ويلبس جلد الكاتب فيفهم بذلك النص الأصل كما جاء في بيئته الأصل، ومن ثم يحاول إعادة صياغته على حد قول –ستاينر– باحترام مقومات اللغة المترجم إليها فلا يخدش حياء المتلقي ولا يمس بدينه ولا تقاليده وإنما يحاول أن يعرفه على العالم الأخر بطريقة مهذبة ولبقة تسمح له بفهم الغريب دون أن تطمس هويته.

قائمة المصادر والمراجع:

Burkhanov, I. (2003). *Translation: Theoretical Prerequisites.*

C.J Catford .(1965) .*A linguistic Theory of Translation* .Oxford: Oxfor University Press.

C.R.Taber, N. a. (1982). *The Theory and Practice of Translation.* Leiden E.J Brill.

Culler, J. (1997). *Literary Theory. A Very Short Introduction.* Oxford: Oxford University Press.

J. Guillemin Flesscher .(2000) .*Linguistique contrastivee et traduction* .Ophrys.

John Biguenet و ،Rainer Schulte .(1989) .*The Art of Traslation* .Chigago Guides.

Newmark, P. (1981). *Approaches to Tanslation* . Oxford: Pergman Press.

Newmark.P. (1982). *Approaches to Translation.* London: Pergmen Press.

Nida, E. E. (1964). *Toword a Science of Translation.* Leyede, Brill.

R Beaugrand و ،Dresser .(1981) .*Introductin To Text Linguistics* .London: Longman.

Steiner, G. (1992). *After Babel: Aspects of Language and Translation.* Oxford: Oxford University Press.

التوحيدي. (1953). *الامتاع والمؤانسة*. بيروت-صيدا: المكتبةالعصرية.

انعام بيوض. (2003). *الترجمة الأدبية: مشاكل وحلول* (المجلد الطبعة الأولى). بيروت- لبنان: دار الفرابي.

عبد الرزاق داوي. (2013). *في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات: حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة*. بيروت: المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات.

مصطفى داودي. (2012). *الترجمة في الأندلس ودورها في النهضة الأوروبية*. الجزائر: دار التنوير.